أدلة وبراهين وجود الله عند القديس توما الأكويني:

م.م. حسن محمد جاسم/ كلية الآداب/ قسم الفلسفة

في هذا الموضوع يجب التفريق بين نوعين من البراهين، فهناك البرهان الإنّي، والثاني هو البرهان اللمّي. أما الأول فهو الذي يُسار ويُنتقل فيه من المعلول إلى العلة، أو من الأثر إلى مؤثره. أما الثاني فيُنتقل فيه من العلة إلى المعلول. مثل ارتفاع درجة الحرارة يوجب تمدد الحديد.

والقديس توما الأكويني عندما تكلم عن براهين وجود الله فإنه استخدم البرهان الإني الذي يمضي من الموجودات الطبيعية لكي يثبت علتها (من الكون إلى المكوّن)، ذلك أن العالم فيه مجموعة من المعلولات والعلل مترتبة بالذات يتوقف بعضها على بعض، وأن العقل يدلنا على امتناع التداعي إلى غير نهاية في سلسلة هذه العلل، فيجب أن نقف عند العلة الأولى ووذلك طبقا لمبدأ امتناع التسلسل، فيستحيل أن يتولد الإنسان من إنسان إلى غير نهاية. وذات الأمر ينطبق على الموجودات الطبيعية التي يجب أن تنتهي إلى علة أولى تكون هي علة العلل (لامتناع التسلسل).

وهناك خمسة أدلة يذكرها ألأكويني في إثبات وجود الله وقد أخذ أصولها من المعلم الأول (أرسطوطاليس).

البرهان الأول: (برهان الحركة)، حيث ينتهي من خلاله إلى المحرك الذي لا يتحرك.

وهذا البرهان قد ذكره المعلم الملائكي في كتابه (الخلاصة اللاهوتية) وتقوم هذه الفكرة على أن كل متحرك في هذا العالم يجب أن يتحرك بوجود محرك يقوم بتحريكه. إذ يتفق الجميع على أنه في هذا الكون توجد حركة، والحركة كما تعرف هي كل انتقال من حالة القوة إلى حالة الفعل، ولكي تحدث الحركة او التغير من القوة إلى الفعل يجب أن يأتي شيء آخر يفضي عليها ذلك التغير أو الحركة، فكل متجرك يقضي ويجب أن يكون من محرك له.

فالخشبة هي خشبة بالفعل لكنها من الممكن أن تكون نارا بالقوة أي أن لها القابلية والاستعداد على الإحراق، وعندما تحترق هذه الخشبة نجد أن عملية الإحراق فيها هي عملية حركة وتغير تفترض وجود علة محركة هي الأصل في حرقها وهي النار.

وهكذا بالنسبة للموجودات والطبيعة المتحركة في هذا العالم (من كون وفساد، وشروق وغروب وحركة الأفلاك ودوران للشمس وغيرها الكثير) يجب أن ننتهي فيها إلى محرك يقوم بتحريكها تمتنع وتنزه عنه الحركة، وينتهي الأكويني إلى محرك أول وكلي يحرك كل موجود مباشرة بدون واسطة، وهذا المحرك الاول الذي لا يتحرك هو الله.

البرهان الثاني: (العلة الأولى)، وفيه يبين توما بأن لكل إثر يجب أن يكون هنالك من مؤثر، ولكل معلول يجب أن يكون علة، ولكل سبب مسبب، فمن جهة الموجود والجوهر المتحرك فإنه يفتقر إلى علة فاعلية، أي علة فاعلة تفيض إليه فعل الوجود في هذا العالم. إذ يمتنع عقلا أن يكون الشي الذي خرج إلى الوجود علة فاعلة لنفسه، ولا يجوز التسلسل إلى غير نهاية، بل يجب أن ننتهي إلى علة أولى تفيض الوجود إلى جميع المعلولات. وهذه العلة الأولى هي الله.

وهذه البرهان ذكره أرسطوطاليس في المقالة الثانية، من كتابه (ما بعد الطبيعة) لكنه لم يعرضه لبيان وجود الله بالتخصيص. بل لاستحالة التسلسل في جنس العلل الفاعلية.

البرهان الثالث: (برهان الوجوب والإمكان – الواجب والممكن)، ويفرق فيه ألأكويني بأن الموجودات جميعا لا يشذ عنها شيء فهي إما أن تكون واجبة الوجود أو ممكنة الوجود، فالموجود الواجب هو الذي لا يعتريه الكون والفساد ولم يسبق بعدم ولا لاحق له وهو واجب الإمكان دوما، وهذا بخلاف ممكن الوجود الذي يكون معرضا للكون والفساد، ومن ثم تتساوى إليه نسبة الوجود والعدم.

ومن جهة أخرى يجب أن نعرف بأن الممكن هو الذي يكون محتاجا إلى من يفيض ويضيف عليه الوجود، إذ ممكن الوجود يستمد وجوده من غيره لا من ذاته، ويجب أن ننتهي إلى مبدأ عدم إمكان التسلسل إلى غير نهاية، فوجب القول بأن الممكنات تستمد وجودها من الواجب الوجود بذاته، لامتناع التسلسل. فلابد من الوقوف الى واجب الوجود وهذا هو الله.

البرهان الرابع: (التدرج في الكمال)، ويذكره المعلم الملائكي في الخلاصتين، بأن الناس تختلف في الكمالات من (الحقية، الخيرية، الجمالية، العقل، الإرادة، النبل وغيرها) ، وهذا الاختلاف يوجب أن ترجع وتتدرج الناس فيه إلى الكمال المطلق والتام الذي هو موجود وغاية في تلك الصفات، وهو غاية في الوجود ، وعلة لما في جميع الموجودات من وجود وكمال، وهذا الموجود هو (الله)، وهذا الدليل أفلاطوني وأرسطي (ما بعد الطبيعة) وكذلك قد ذكره أوغسطين وأنسلم في ذكرهم لبراهين وجود الله.

البرهان الخامس: (برهان النظام أو النظم)، حيث الطبيعة والكائنات منظمة فيما بينها لانتفاع بعضها ببعض وكل شيء مُيسَّر لغاية، وكلها الأشياء تتجه لتحقيق غاية واحدة، والمتباينات في نظام واحد يجب أن ترجع إلى منظم واحد وهو الله، إذ لا يمكن أن تتصادف وتترتب الأشياء على هذا النحو المنظم والدقيق بدون وجود علة منظمة له. وفي النهاية لابد من القول بوجود علة واحدة عاقلة منظمة للكون. وهذا الدليل مستمد من كتاب السماع الطبيعي لأرسطوطاليس.